

روح المعاني

إلى الشكر وتحذير لهم عن الوقوع في مهاوي الكفر وقيل : فيه إشارة إلى ما وقع منهم بعد ذلك .

ولقد أخذنا ءآل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود به وإيذان بأنهم لم يمهلوا حتى تحولوا من حال إلى حال إلى أن حل بهم عذاب الإستئصال وتصدير الجملة بالقسم لأظهار الاعتناء بمضمونها والمراد بآل فرعون أتباعه من القبط وإضافة الآل إليه وهو لا يضاف إلا إلى الإشراف لما فيه من الشرف الدنيوي الظاهر وإن كان في نفس الأمر خسيسا وعن الخطيب أن المراد فرعون وآله والسنين جمع سنة والمراد بها عام القحط وقد غلت في ذلك حتى صار كالعلم له لكثرة ما يذكر ويؤرخ به ولا كذلك العام الخصب ولامها واو أوها وقد اشتقوا منها فقالوا : أنسنت القوم إذا قحطوا وقلبو اللام تاء ليفرقوا بين ذلك وقولهم اسنى القوم إذا لبثوا في موضع سنة قال المازني : وهو شاذ لا يقاس عليه وقال الفراء : توهموا أن الهاء أصلية إذ وجدوها أصلية فقلبوها تاء وجاء أصا بتنا سنية حمراء أي جدب شديد فالتصغير للتعطيم وإجراء الجمع مجرى سائر الجموع السالمة المعربة بالحروف هو اللغة المشهورة واللغة الأخرى إجراء الإعراب بالحركات الثلاث مع التنوين عندبني عامر وبنو تميم لاينونون تخفيفاً وحينئذ لا تمحف النون للإضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر : دعاني من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيئاً وشيبتنا مرداً ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف عليه السلام وجاء في رواية أخرى اللهم أعني عليهم بسنين كسمي يوسف عليه السلام وهو على اللغة المشهورة ونقص من الثمرات بكثرة عاهات الثمار وخروج اليسير منها حتى لا تحمل النخلة كما روی عن رجاء بن حبوبة الأبسرة واحدة وكان القحط على ما أخرج عبد بن حميد وغيره عن قتادة باديتهم وأهل ماشيتهم والنقص في أمصارهم وقرائهم وأخرج الحكيم الترمذى في نوادر الأصول وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهمما ما قال : لما أخذ الله تعالى آل فرعون بالسنين يبس كل شيء لهم وذهبت مواشيهم حتى يبس نيل مصر فاجتمعوا إلى فرعون وقالوا له : إن كنت كما تزعم فائتنا في نيل مصر بما قال : غدوة يصيبحكم الماء فلما خرجوا من عنده قال أي شيء صنعت أنا لا أقدر على ذلك فغداً يكذبونني فلما كان جوف الليل قام واغتسل ولبس مدرعة صوف ثم خرج حافياً حتى أتى النيل فقام في بطنه فقال : أللهم إنك تعلم أنني أعلم أنك تقدر على أن تملأ نيل مصر ماء فاملأه ماء فما علم إلا بخرين الماء يقبل فخرج وأقبل النيل متربعاً بالماء لما أراد الله تعالى بهم من الهلاكة وهذا إن صح يدل على أن الرجل لم يكن ذهرياً نافياً للصانع كما قال البعض لعلهم

يذكرون أي لكي يتعظوا فيتربعوا ما هم عليه أو لكي يذكروا الله تعالى فيتضرعوا له ويلتجئوا إليه رغبة فيما عنده وقيل : لكي يتذكروا أن فرعون لو كان إليها لدفع ذلك الضرر .
وعن الزجاج أنهم إنما أخذوا بالضراء لأن أحوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله تعالى ألا ترى قوله تعالى وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض فإذا جاءتهم الحسنة الخ بيان
لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي والمراد بالحسنة كما يفهمه ظاهر كلام البعض الخصب والرخاء
وفسرها مجاهد بالرخاء والعافية وبعضهم بأعم من ذلك أي إذا جاءهم ما يستحسنوه قالوا لنا
هذه أي إنا مستحقوها بيمن الذات وإن تصبهم سيئة أي ضيقة